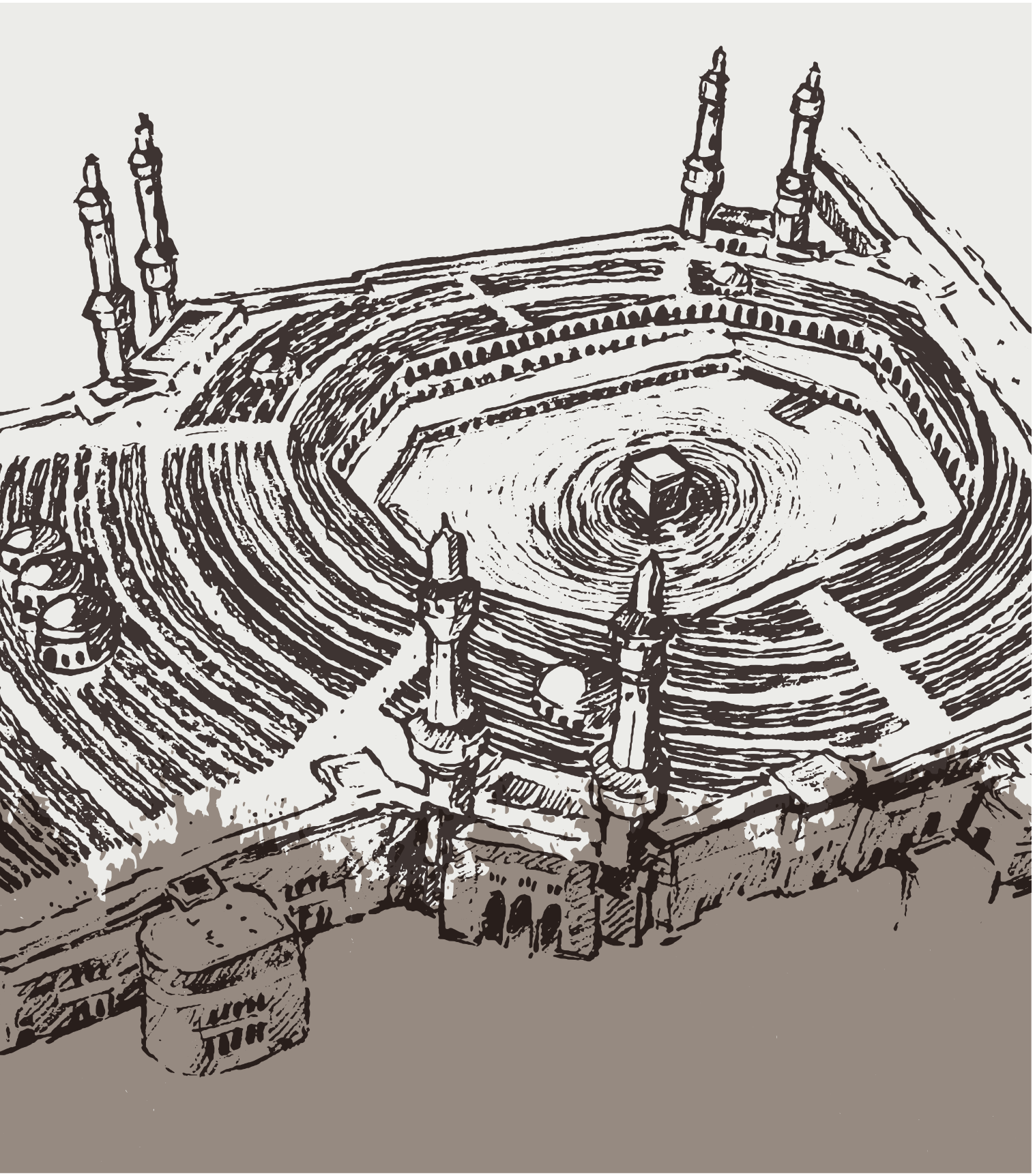

الجمع بين الإيمان وطلب الرزق

عنْ عمرَ ﷺ، عنْ النّبيِّ ﷺ قال:

«لو أنَّكُمْ تَوَكَّلُونَ على اللهِ حقَّ توكُّلِه، لرُزِقْتُمْ كما تُرْزَقُ الطَّيْرُ، تَغْدو خِماصًا، وتَرُوحُ بِطانًا»(١٥٠).

(١٥٠) رواه أحمد (٢٠٥)، والنسائيُّ (١١٨٠٥)، والترمذيُّ (٢٣٤٤)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وصحَّحه الألبانيُّ في «الصحيحة» (٣١٠).

آيات

- ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصۡبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيۡتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم: ١١، ١٢].
- ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا﴾ [الطلاق: ٣].
- ﴿فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

الراوي

هو: أبو حفص عمرُ بنُ الخطَّاب بنِ نُفيل، القرشيُّ، العَدويُّ، يجتمع مع رسول الله ﷺ في كعبِ بنِ لُؤيٍّ، الفاروق، ثاني الخلفاء الراشدين، وأوَّل مَن لُقِّب بأمير المؤمنين، وهو وزير رسول الله ﷺ، توفي سنةَ (٢٣هـ)(١).

خلاصة

يخبر النبيُّ ﷺ أنَّنا لو صدقنا في التوكُّل على الله، وتوكَّلنا عليه كما ينبغي، لرزقنا كما يرزق الطير، تُصبح جائعةً وتعود شَبعانة.

(١) تراجع ترجمته في: «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (١/ ٣٨)، «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر (٣/ ١٢٣٨)، «أسد الغابة» لابن الأثير (٣/ ٦٤٢).

١ التوكُّل من العبادات القلبية، ويتحقَّق بالثقة بالله تعالى والاعتماد عليه مع الأخذ بالأسباب، وقد أخبر ﷺ أننا لو توكَّلنا على الله حقَّ التوكُّل لَرَزقنا كما يَرزق الطير؛ حيث تذهب في الصباح جائعةً فارغة البطن من الجوع، وتَرجع في آخر النهار شَبعانة ممتلئة البطن.

وحقُّ التوكُّلِ أن يأخذَ الإنسانُ بالأسبابِ مع الثقةِ بالله تعالى في أنَّ الأمر كله بيده، لا أن يَدع الأسبابَ ويجلس مُنتظِرًا رزقَه، فهذا من التَّواكل المذموم لا التَّوكل المحمود؛ فالنبيُّ ﷺ لَبِس في معاركه الدروع، وحفر الخندق في الأحزاب، وخرج يوم الهجرة متخفِّيًا، واستخدم الدليلَ لطريق هجرته، واختبأ في الغار، وأعدَّ للمعاركِ خُطَطَها، وهو خيرُ من يتوكَّل على الله سبحانه. وقد أمر جل وعلا بالتوكل مع العزم والأخذ بالأسباب فقال: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

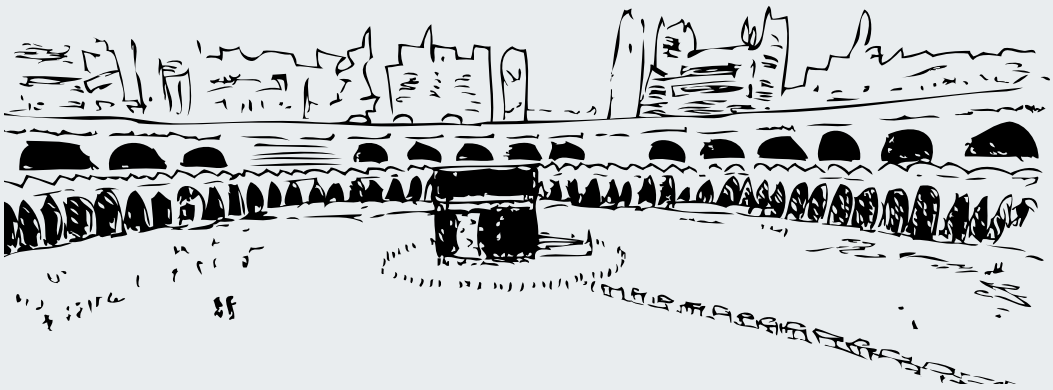

٢ وقد لَقِي عمر بن الخطاب ﷺ جماعةً من المتواكِلين الذين لا يأخذون بالأسباب من أهل اليمن، فقال: من أنتم؟ قالوا: نحن المتوكِّلون. قال: بل أنتم المتَّكِلون؛ إنّما المتوكِّل الَّذي يُلقي حبَّه في الأرض، ويتوكَّل على الله[١٥١].

فلو أنَّنا صدقنا في اعتمادنا وتوكُّلنا على الله تعالى لرزقنا كما يرزق الطير الذي لا حيلة له، ولكنَّ أكثرنا يعتمد على الغشِّ والكذب والخداع في المعاملات، أو يلجأ إلى التواكُل وطرح الأسباب، أو يعتمد على الأسباب اعتمادًا كُلِّيًّا بحيث يرى أنَّ موافقةَ الأسبابِ يفيد وقوع الرزق حتمًا[١٥٢].

---

(١٥١) رواه البخاري (١٥٢٣).

(١٥٢) ينظر: «دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين» لابن علان الصديقي (١/ ١٩٧-١٩٨).

١ إذا أَهَمَّ المسلمَ أمرُ الرزقِ، فلا عليه إلا أن يتوكَّلَ على اللهِ تعالى، ويرضى بما يقسمه له، ويُوقِنَ تمامَ اليقينِ أنَّ له ربًّا يُدَبِّر أمرَه، ثم يأخذَ بالأسبابِ بعد ذلك.

٢ كثيرٌ من النَّاس يُكثِر من قول: «توكلتُ على الله» دون أن يكون متوكِّلًا حقًّا؛ فالتَّوَكُّلُ ليس قولًا باللسان، وإنما تسليمٌ للهِ تعالى ورِضًا بقَضائه، مع الإيمانِ به.

٣ المتوكِّلُ على الله حقَّ التوكُّل مُوَفَّقُ القصد، محفوظٌ عن نَزَغات الشيطان ووساوسه، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: ٩٨-٩٩]. فمن أراد أن يحفظه الله تعالى من الشيطان ويبعده عنه، فليُحسِن التوكل عليه سبحانه.

٤ مَن سرَّه أن يحفظه الله في جميع أموره، وأن يكفيه ما أهمَّه من أمر الدنيا والآخرة، فلْيَلجأ إلى الله تعالى ويُفَوِّض الأمر إليه؛ قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]، وقال رسول اللّه ﷺ: «مَنْ قَالَ - يَعْنِي: إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ -: بِاسْمِ اللهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ، لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ؛ يُقَالُ لَهُ: كُفِيتَ، وَوُقِيتَ، وَتَنَحَّى عَنْهُ الشَّيْطَانُ»(١٥٣).

٥ حقُّ التَّوَكُّل على اللهِ تعالى أن يرضى بما يفعلُ اللهُ به، وأن يثقَ به سبحانه، وأن يُسَلِّم الأمرَ له. قال بشرٌ الحافي -رحمه الله-: يقول أحدهم: توكَّلت على الله، يَكذِب على الله؛ لو توكَّل على الله رَضِيَ بما يفعل الله، وسُئل يَحيى بنُ معاذ-رحمه الله-: متى يكون الرجل متوكِّلًا؟ فقال: إذا رَضِي بالله وكيلًا(١٥٤).

٦ عندما أراد اللهُ سبحانَه أن يُطعِم السيدة مريم ﵂ وهي في مَخاضِ ولادتِها، أمرها أن تَهُزَّ جذع النخلة، فأيُّ قوةٍ من امرأةٍ تضعُ ولدَها تهزُّ النخلةَ حتى يسقط منها التمر! بل لو هزَّ رجلٌ قويٌّ جَلْدٌ النخلةَ ما أسقطت شيئًا منها، ولكنه سبحانه يحبُّ أن يأخذ العبدُ بالأسبابِ ويدع النتائج لله سبحانه.

٧ ينبغي على الداعية والمُرَبِّي أن يُكثر من استخدام الصُّوَر البلاغية وضربِ الأمثالِ التي تُوضِّح المعاني وتُقَوِّي الأفكار.

---

(١٥٣) رواه الترمذيُّ (٣٤٢٦).

(١٥٤) «مدارج السالكين» لابن القيم (٢/ ١١٤).

٨ الْتَقى عبد الله بن سَلَام وسلمان ﷺ، فقال أحدهما لصاحبه: إن متَّ قبلي فالْقَني، فأخبِرْني ما لقِيتَ من ربك، وإن متُّ قبلك لَقِيتُك، فأخبرتُك. فقال أحدهما للآخر: أوَتَلقى الأمواتُ الأحياءَ؟ قال: نعم، أرواحهم تذهب في الجنة حيث شاءت. قال: فمات فلانٌ، فلقيه في المنام، فقال: «توكَّل وأبشر، فلم أرَ مثل التوكل قطُّ، توكَّل وأبشِر، فلم أرَ مثل التوكل قط»(١٥٥).

٩ قال لقمان -رحمه الله- لابنه: «يا بني، الدنيا بحرٌ غَرِق فيه أناس كثير، فإن استطعت أن تكون سفينتك فيها الإيمان بالله، وحشوها العمل بطاعة الله عز وجل، وشِراعها التوكُّل على الله؛ لعلك تنجو»(١٥٦).

قال الشاعر:

تَوَكَّـلْتُ في رِزقِي علَى اللهِ خالقِي ... وَأَيْقَنْتُ أنَّ اللهَ لا شَـكَّ رازِقي

وَمَـا يَكُ مِنْ رزقِي فَلَيْسَ يَفُوتُني ... وَلَوْ كَـانَ فِي قَاعِ البِحارِ الغَوَامِقِ

سَـيأتي بِهِ اللهُ العظيـمُ بِفَضـلِهِ ... ولو لم يكـنْ مِنِّي اللِّسَـانُ بنَاطِقِ

ففي أيِّ شيءٍ تَذْهَبُ النَّفْسُ حَسْرَةً ... وَقَدْ قَسَّمَ الرَّحمنُ رِزقَ الخلائِقِ

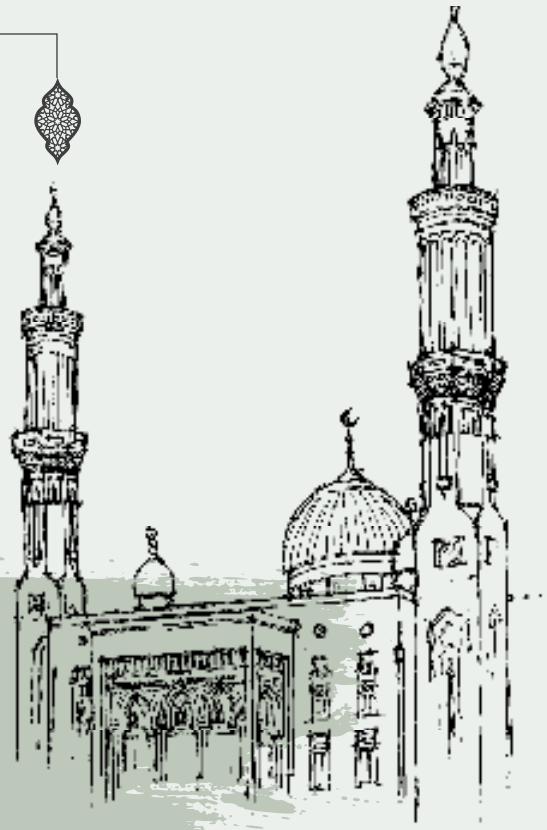

(١٥٥) «التوكل على الله» لابن أبي الدنيا (ص: ٥١).

(١٥٦) «التوكل على الله» لابن أبي الدنيا (ص: ٤٩).